

الفلسفة التربوية  
والتقافة العربية

الفلسفة والتربية بدها توأمين كالسياسة والتربية . وهم ينتميان الى أم واحدة هي ثقافة الامة . فالانسان هذا (الحيوان الفيلسوف ) ، كما يقول (شوبنهاور ) ، و (الحيوان السياسي ) كما يقول (ارسطو ) ، قد جعل من الفلسفة مجالا لارتياض المجهول . كما جعل من السياسة طريقا لتنظيم الحياة ، فكانوا اشبه بطرف في معادلة تحمل التربية مكان المركز بينهما . والتربية بدورها هي تجسيد لثقافة الامة ونزعوها الحضاري . و شأن معاييرات الحياة كلها ، كان لا بد للعلاقة بين الفلسفة والتربية ان تتطور مع تطور الثقافة ، أي مع تجربة الانسان والتحولات الاجتماعية . لذلك كان لا بد لكل حديث عن (الفلسفة التربوية ) ، باعتبارها (تركيبا) جديدا متتجاوزا لمرحلة الطلاق المصطنعة بين الفلسفة والتربية ، من البدء بالبعد التاريخي للثقافة ، الذي يتتيح لنا ان نميز من خلاله ، العوامل التي انتهت الى الجمع بينهما والمبادئ التي تكمن وراء الوحدة الثقافية التي تشدهما الى حياة الامة .

- هو الذي (ابصر الخفایا) و (كشف عن المجهول) ، (أي  
 الشفف بالمعرفة والكشف) ٠  
 هو (الحكيم) العارف بكل شيء، أي الجامع (للعلم والنضج) ٠  
 جاءه الله العظيم (بالحسن) وخصه (بالبطولة) أي امتلك  
 (الجمال والقوة) ٠  
 انه (قوى) و (ذو بأس شديد) أي انه قد تسيز (بالشخصية  
 والارادة) ٠  
 لقد سلك اسفارا بعيدة متقلبا بين التعب والراحة (أي ان  
 حياته اصبحت غنية ( بالتجربة والافق) ٠  
 انه لا يخشى (القتال) لأن (السقوط في القتال مبارك)  
 (النظرة البطولية الى الموت) ٠٠  
 انه يصارع الشرير كي يزيل الشر من على الارض (له رسالة) ٠  
 هو لا يتكل على قوته وحدها ، بل يتبصر في امره ، ويتسنم  
 الى مشورة الاخرين أي انه يتميز ( بالتواضع والديمقراطية والروح  
 الاجتماعية) ٠  
 لقد أرهف السمع وأصفعى الى مشورة ابيه (أي أنه يدرك  
 أهمية تواصل الخبرات عبر الاجيال ٠٠)  
 انه الصديق الناصح الوفي الذي يحب صديقه كما يحب نفسه  
 (أي انه يستوعب الاساس العميق للترابط الاجتماعي) ٠

١ - ان الفلسفة كأساس نظري للتطبيق التربوي ، توazi  
 المرحلة التي كانت فيها التربيةتابعة للفلسفة ولملحقة بها ،  
 شأنه كل العلوم في الماضي ، وهذه المرحلة تصعد الى بدء  
 تبلور الثقافة ، حيث النظارات الشمولية الى الحياة في الحضارات  
 الاولى : مثال على ذلك :  
 أ - (نودج) ملحمة جلجامش في الواحها الاثنى عشر التي  
 تسطوي على بذور (فلسفة تربوية) ترتكز الى مفهوم (البطل  
 التاريخي) الذي هو نسيج من قيم وفضائل ثقافية (المعرفة وال بصيرة ،  
 والتجربة والقوة ، والحكمة ، والتواضع ، والمحبة ، والباس في  
 مقارعة الظلم والاعوجاج في الحياة البشرية ، والنظرية البطولية الى  
 الموت) ، لذلك فأن (جلجامش) يحفر بعمق في ذاكرة الانسانية .  
 ان ملحمة (جلجامش) اقدم نموذج من ادب الملائكة البطولية  
 في التاريخ ما تزال شاهة في ثقافات العالم بالرغم من مضي اكثر من  
 ستة الاف سنة على كتابتها ٠٠  
 وفلسفتها التربوية تتجلى من خلال العبارات التي تقول :-  
 هو الذي (رأى) كل شيء ٠٠ فبني بذكره يابلادي أي : جمع  
 فضيلتي : (رؤيه) و (ال بصيرة) ٠  
 هو الذي عرف جميع الاشياء ، وافاد من ( عبرها ) أي  
 امتلك ( المعرفة النظرية والعملية ) ٠

**ابعاد انسانية خالدة**

ان هذه الصورة الجزئية تعكس مباديء التربية الحسية والعلقية والاجتماعية والخلقية والجمالية ، التي يربط فيما بينها مفهوم ثقافي يتلخص ( بالبطولة ) ، يشكل ( نواة ) الفلسفة الاولى للحياة في عراقتنا الحضاري في القديم .

بـ وقد تطورت بدور هذه الفلسفة التربوية + فعلى الصعيد العربي ، ليس في حياة العرب في الجاهلية ، امتدادا لفلسفة البطولة تلك ، في ملامح الشعر التي افرست مفاهيمها التربوية في اجيال استطاعت فيها بعد ان تحمل لواء رسالة تاريخية عظيمة ، ذات ابعاد بمثابة ثورة شاملة ( روحية واجتماعية وقومية وحضارية ) ذات انسانية خالدة .

فسواء لدى الجيل الاول من شعراء الجاهلية ، أمثال المهلل وتأبطة شرا ، وعروة بن الورد والشترنبرى ، أو في معلمات الجيل الثاني ، أمثال طرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى ، وعترة وغيرهم كعمر وبن كلثوم ، تتین مفهوما ثقافيا واحدا يرمي الى الشخصية الموحدة المتماسكة التي تدرك بأن لها هدفا كبيرا في الحياة ، هو أقوى من كل مقومات الحياة ، واقوى من الموت .

ان هذا المنظور الثقافي الى الحياة النابع من ( فلسفة البطولة ) قد عبر عن نفسه ، من خلال التركيز على الصفات والخصال

والفضائل التي تحدد شخصية الانسان العربي في تلك المرحلة والاطار التربوي لتكون تلك الشخصية . فالبطولة لا تعني القوة المجردة والعنف والقسوة الكافرة بالعواطف وبالحس الانساني ، انها ليست بذرة الفاشية ونواة الطغيان بل هي شبكة من الفضائل المتكاملة التي تحدد الشخصية القوية الغنية المتلائمة طاقة وقدرة وعطاء ، المتقدمة عاطفة وذكاء فالبطل هو الوجه المقابل للطاغية . انه رمز لكمال انساني منافق لرموز الانحطاط والضياع ، انه (الانسان الحقيقي) الذي يمتلك :

★ صفات الشجاعة والكرم والحلم ورجاحة العقل والاخلاص والوفاء والغيرية ، في ( وصية لقيط الايدي لقومه ) حيث يقول :

وقلدوا امركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلاعا لا متراكا ان رخاء العيش ساعدكه ولا اذا عض مكرروه به خشعا مسهد النوم تعنيه اموركم يوم منها الى الاعداء مطلعا وليس يشغلك مال يثرمه عنكم ولا ولد يعيي له الرفعا  
★ وهو المائل في شجاعة ( طرفة ) ومرءاته وكرمه وتحديه للموت وتعامله البطولي مع الزمن :-

اذا القوم قالوا من فتى خلت انتي عنيت فلم اكسل ولم اتبعد ولست بحال اللئاع مخافة ولكن متى يسترند القوم اردد

### الحياة - الملحمة :

★ ان (فلسفة البطولة) هذه ، التي عبرت عن نفسها بصور جزئية في الجاهلية ، تحولت في ثورة الاسلام ، الى بيان تربوي للاجيال الجديدة الثائرة ، لان حياة العرب برمتها قد تحولت الى ملحمة بطولية واصبحت الرسالة تعبرا عن فيض البطولة ، فاتشرت الحياة العربية لتساهم في تجديد حياة البشرية كلها .

ومنذ ذلك الحين والامة العربية تعامل مع نفسها ومع العالم على اساس تلك النظرة الحضارية ، النابعة من نزعة السانية تقدمية ، لذلك كان التاريخ العربي مسرحا لتفاعل دائم مع الافكار والتجارب والقيم ، التي شكلت مسار التقدم والحضارة في العالم وكان صراعها — صراع الامة العربية — مع قدرها دوما صراعا بطوليا .

ج — فليس من عجب ، في هذه المرحلة من تاريخ تطور المعرفة البشرية ، التي اشرنا اليها في البدء . وهي المرحلة التي كانت فيها التربية مجرد تطبيق لمفهوم ثقافي ولfilosofie اجتماعية اختبارية ، قبل أن تأخذ الفلسفة شكل مذاهب محددة في الحضارة اليونانية القديمة ، ليس من عجب ان تتشرع الامة فلسفتها التربوية من ثقافتها ، أي من حصيلة تفاعಲها مع بيئتها ومع تجربتها وصراعاتها . أي من انساج لنظرة الى الحياة قائمة على ( فكرة بطولة ) . ثم ان احتكاك الفكر العربي بالفلسفة اليونانية حيث ( جمهورية

وأن أشهد النذات هل انت مخلدي  
فدعني ابادرها بما ملكت يدي  
فان كنت لا تستطيع دفع مني  
وان يأتوك الاعداء بالجهد اجهد  
وان أدع للجليل اكن من حساتها  
خشاش كرأس الحياة المتقد  
انا الرجل الفرب الذي تعرفونه  
اذ ابتدر القوم السلاح وجدتني  
منيعا اذا بلست بقائمه يدي  
بعيدا غدا ، ما اقرب اليوم من غد  
أرى الموت اعداد النفوس ولا رأى

★ وهو قائم في شجاعة عترة المزوجة بالترفع والتعطف  
والتنعم بأخلاق الفرسان :-

هلا سألت القوم يا أبنة مالك  
ان كنت جاهلة بما لم تعلمي  
يخبرك من شهد الواقعه اتي  
أشخى الوغى وأعف عند المغنم  
فأرى مقام لو أشاء حويتها  
ويصدني عنها الحيا وتكرمي  
لما رأيت القوم أقبل جمعهم  
يتذمرون كررت غير مذمم

★ وكذلك في حكمة زهير بن أبي سلمى البطولية :-

ومن هاب اسباب المانيا ينلنه وان يرق اسباب السماء بسلام  
رأيت المانيا خط عشواء من تصب تنتهى ومن تخطيء يعمر فيهم  
ومن يك ذا فضل فيدخل بفضله على قومه يستعن عنه ويذمم  
ومهما تكون عند امرىء من خليقة وان خالها تخفي على الناس تعلم  
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

الثورة العربية في العالم المعاصر :

د - وعندما انحسرت تلك المرحلة وبدأت ملامح النهضة العربية ، بعد قرون من الانحطاط والضياع ، عاد الفكر العربي إلى التفاعل مع حركة الفكر والتقدم في العالم ، ليكتشف من خلال هذا التفاعل موقعه ، ومكان الثورة العربية ، في العالم المعاصر ، ويتبين على ضوء الصراع المصري لامة العربية ، الفلسفة التربوية التي يبني على أساسها حياة الأجيال الجديدة .

وكانت العلاقة بين الفلسفة والتربية ، قد انتقلت على صعيد العالم وتطور المعرفة فيه ، إلى مرحلة جديدة مختلفة تماماً عن المرحلة التي عرفتها من قبل . فالترية لم تعد جزءاً من الفلسفة ، ولم تعد تشكل جانباً تطبيقياً الملحق بالنظرية الفلسفية فقط . فقد انتقل مركز الثقل من الفلسفة إلى التربية فنشأ علم التربية وتفرع هذا العلم إلى علوم التربية : التربية التجريبية ، والتربية المقارنة ، والتخطيط التربوي ، والاحصاء التربوي ، وعلم النفس التربوي ، وعلم المناهج ، وعلم الطرائق . . . الخ .

٢ - في هذه المرحلة الثانية من مراحل العلاقة بين الفلسفة والتربية كان الفكر البشري قد اتم دورته الثقافية في الانتقال من فلك الفلسفة إلى فلك العلوم ، فبعد ( استقلال علوم الرياضيات ) بدأت مسيرة الاستقلال عن الفلسفة ، ثم جاءت الفيزياء ثم الكيمياء

افلاطون ) و ( سياسيات ارسطو ) و ( تساعيات افلاطون ) ، إلى جانب المذاهب الايقورية والرواقية ، كان لا بد أن يؤدي إلى تطوير النظرة الفلسفية التربوية عند العرب ، على أساس من التفاعل الشفافي مع الفكر الفلسفي اليوناني . فالفارابي في ( آراء أهل المدينة الفاضلة ) وابن سينا في كتاب ( السياسة ) وابن الطفيل في ( حي بن يقطان ) والغزالى في ( المنقد من الفلال ) ووسائل ( ابن مسكويه ) و ( اخوان الصفا ) وابن خلدون في مقدمته . . . وكثيرون آخرون ، كابن رشد وابن سحنون وابن عبدالبر الاندلسي ، والقابسي والزرنوجي والعلموي والسبكي والسمعاني والخطيب البغدادي . . . قد اضجعوا نظرات تربوية على ضوء تفاعل الفكر العربي مع التراث الثقافي العالمي الذي أخذ يتبلور على شكل نظريات ومذاهب ، بقيت التربية تشكل ضمن اطارها نقطة التقاطع بين النظرية الفلسفية والمجتمع .

وقد استمر هذا التفاعل حتى انطوت الصفحات المشرقة من الحياة العربية ، ودخلت الامة العربية بعد القرن الثالث عشر تدريجياً في عصر الظلمات الذي نطلق عليه اسم عصر الانحطاط حيث عرفت الامة العربية أنواع السيطرة الخارجية والتفتت والتجزئة فتخلقت عن قافلة البشرية التي بقيت في مقدمتها طيلة قرون . . .

### يقطة حياة وجود :

ان اليقطة الجديدة في الحياة العربية لم تكن مجرد يقطة فكرية وثقافية بل كانت يقطة حياة وجود ومصير ، تشكل الثقافة احدى ملامحها البارزة ، لذلك فإن الفكر التربوي ومعاناته الخاصة إنما كانت جزءاً من معاناة شاملة وعسيرة للوجود القومي . وقد أخذت معنى المشاركة في التفتيش عن طريق الانقاد للامة ، طريق الانبعاث الجديد . وعلى ضوء ذلك وضعت الايديولوجيات المعاصرة ، كما وضعت الفلسفات والنظريات الفلسفية من قبل على محك حاجات النهضة والانبعاث القومي فكانت الايديولوجية العربية الثورية وكانت فلسفتها التربوية الأصلية . و اذا اخذنا بعين الاعتبار رواد النهضة العربية عبر اكثر من قرن ، لفت انتباها ظاهرة غلة مهنة التربية والتعليم على عمل الجيل الاول من المفكرين العرب ، وان الفلسفة التربوية التي تهيمن على نظراتهم نابعة من فكرة النهضة العربية ذاتها ، وان انعكاسات الفكر التربوي على الوطن العربي قد أخذت شكل الاتجاهات الرئيسية التالية :

أ - فلسفة تربوية تأثرت بالفلسفات المثالية والمفاهيم الليبرالية وانطلقت من الاهتمام بالتربية الفردية ، بالطفولة والحرية والديمقراطية والعلاقة بالطبيعة وتعاطفت مع افكار جان جاك روسو

ثم علوم الحياة وعلوم النفس والاجتماع ، واخيراً استقلت علوم التربية، وأصبحت العملية التربوية تستند الى ايديولوجيات عامة موجهة .

بعد محاولات افلاطون وارسطو وافلوطين الفلسفة، وسبوزا في كتابه (الأخلاق) ، وكتبه في (نقد العقل العملي) ، ونيتشه في (هكذا تكلم زرادشت) وبركسون في (منبعاً للأخلاق والدين) وجان بول سارتر في (الأخلاق الوجودية) . وبدلاً من المذاهب الفلسفية التي لم تفقد تأثيرها تماماً ، بدأ الافكار تتوجه الى المجتمع، بعد ان ظلت طويلاً متمركزة حول الطبيعة وما وراء الطبيعة وحول (المطلق) ، لذلك قامت الافكار بنقله اساسية ولم تعد معها مجرد تصورات ذات نسق مغلق ونظري وتجريدي ، بل تركزت حول مشكلات الانسان واصبحت افكاراً موجهة للعمل . ولم تعدد وظيفتها الاكتفاء بوصف الوجود ، بل اصبح هدفها تغيير المجتمع . فالثقافة أصبحت اكثر تأثيراً وفعالية في الوجود الاجتماعي ، وأصبحت موجهة للعمل . ووجد الفكر العربي نفسه امام الايديولوجيات الليبرالية والاشراكية والماركسيّة . وكان عليه ان يقوم بما سبق له ان فعل عندما تسللت الثقافات في الماضي وكانت له حضارته وثقافته الأصلية .

في كتابه (أميل) وبستالوتسن (الذي توقع الفيلسوف الألماني «فخته» بعث الأمة الألمانية من معهد المشهور) وفرويل وسبسر ومونتوري ودكترولي ودالتون وفرنيه وكرشنيناير وجون ديوبي، وغيرهم حيث تعتبر (فردية الطفل مقدسة)، وحيث ينبغي أن تتبع فروع التعليم ومستوياته (نمو الطفل وتطوره)، وينظر إلى التربية كعملية (طبيعة غافية)، وحيث يكون (العلم أساس التربية)، وتتقدم (التربية) على (التعليم)، وتسند التربية إلى علم النفس، ويكون (ال الطفل هو محور التربية)، وتصبح (الطفولة غاية في ذاتها) وتكون التربية (وظيفة) قائمة على أساس الحاجة إلى المعرفة وإلى العمل وحيث العمل (حر) والنشاط حر، وحيث يشكل (اللعب) أساس النشاط الكاف للكشف عن القابليات والأولاع والميول والاتجاهات النفسية ومستوى وذكاء، وحيث (الاستقلالية) التي تسمح للطفل بأن يصنع قانونه بنفسه وحيث (الميئه الطبيعية) شرط من شروط فتح الشخصية . وحيث أن التربية مختلطة وحيث (الروح الاجتماعية) تشكل أساساً لتعزيز الثقة بالإنسان وخلق جو من التفاؤل والسعادة . . . إلى غير ذلك من مبادئ التربية الحديثة، التي تشكل امتداداً للإطار الثقافي والحضاري الأوروبي في جزءه الرأسمالي حيث الثقافة البورجوازية والإيديولوجيا الليبرالية وربط العلم بطار سياسي واجتماعي تهيمن عليه طبقة اجتماعية لعبت دوراً تحريرياً للمجتمع الأوروبي من الانقطاع إلا أنها صادرت فيما

#### تيار آخر :

ومثل هذه الإيديولوجية ، قد وجدت لها في المرحلة الأولى من النهضة العربية المعاصرة صدى في الأوساط التربوية المدرسية الأكademie التي عزلت التربية عن إطارها السياسي والاجتماعي وكذلك في الأوساط السياسية ذات الثقافة الغربية ، المغتربة التي ارتكبت إلى جانب خطأ المحاكمة بالمجانسة وهو خطأ منطقى شائع ومعرف خطأ الاستسلام إلى الحلول السهلة ونقل الصيغ الجاهزة وتجاهل نقطة الانطلاق وطبيعة المرحلة العربية وتناقضات الواقع العربي .

بـ - أما الاتجاه الثاني للفكر التربوي والفلسفة التربوية ، فقد تمثل في التيار الذي اهتم بالاصلاح التربوي وبالمحضوي الاجتماعي لفكرة الحرية ، والتربية الاجتماعية وبفكرة التغيير الاجتماعي ، ويتكون المواطن المستوّب للتناقضات الاجتماعية واللحاجات التغيير والتطور الاجتماعي وللثورة على الواقع ، وقد اهتمت هذه النظرة التربوية بالبعد السياسي والإيديولوجي للعملية التربوية ، وأكّدت على ضرورة خلق الوعي الاشتراكي ، وعلى فكرة التقدم الاجتماعي ، وتأثّرت تأثراً واسعاً بالمدارس الاجتماعية والإيديولوجيات الاشتراكية . . .

المذهبي ، الذي بقيت الفلسفات ، التربية السابقة خاضعة له .  
والانطلاق من نظرة شمولية تستند الى التحليل العلمي لواقع  
المجتمع العربي وللمرحلة التاريخية التي يمر بها ..

٢ - التخلص من ظاهرة (الاغتراب التربوي ، والاغتراب  
الثقافي ) التي كانت تشكل عامل ضياع جديد للفكر التربوي  
وللفكر السياسي العربي ..

٣ - تجاوز (النظرة الجزئية) الى القضية التربية حيث  
الاكتفاء بالاطار القطري ، أو التركيز على جانب من جوانب العملية  
التربوية تلك النظرة التي كانت تضييف الى تناقض التجزئة في الحياة  
العربية تجزئة جديدة ..

٤ - التخلص من ظواهر (التجريد التربوي) و (المحاكاة  
والتقليد والتبعية) و (عزل المسألة التربوية عن المسألة القومية)  
وفصل المسألة القومية عن محتواها الاشتراكي والديمقراطي ،  
ووضع العوامل الذاتية بوضع النقيس للعوامل الموضوعية ،  
والفرد في وجه المجتمع .. غير ذلك من انواع التركيز على  
جانب واحد من جوانب العملية التربوية والسياسة على حساب  
الجوانب الأخرى ..

٥ - طرح البديل للفلسفات التربوية القومية الخالصة ،  
والاشراكية القطرية او الاممية ، وبلوحة المفهوم الانبعاثي للاصلاح

ج - ييد ان الفكر العربي الثوري الذي تفاعل مع الزمرتين  
السابقتين من الافكار والاتجاهات، تفاعلا حرا واصيلا، قد استطاع ان  
ينفذ الى ما فيها من عناصر ايجابية وان يضعها في اطارها الصحيح  
فالحرية من دون الاشتراكية ، لفظ مجرد ، والاشراكية من دون  
حرية (بوروغراطية على الاشتراكية) اكثر منها (بوروغراطية  
اشراكية) والحرية والاشراكية اذا لم توضع ضمن اطار مفهوم  
القومية العربية وحاجات النهضة العربية وبخاصة نضال الوحدة  
كانا مجرد ترجمة لاطار ثقافي وحضارى لا علاقة له بالمجتمع  
العربي وبحاجات بناء الشخصية العربية والاجيال المؤهلة للقيام  
بدورها الحقيقي في المرحلة الراهنة . فالفلسفة التربوية هي جزء لا  
يتجزأ من الفلسفة السياسية المتمثلة باليديولوجية العربية الثورية .  
والسياسة التعليمية هي تجسيد لها .. وهذا ما عبرت عنه وثائق  
تراث البعث بدءا من الدستور الاول عام ١٩٤٧ حتى وثائق  
المؤتمر القومي الحادي عشر عام ١٩٧٧ . وهكذا استطاعت فلسفة  
الحزب التربوية وفلسفة الحزب السياسي ان تستفيد من المذاهب  
التربوية التابعة للفلسفتين المثالية والمادية وان تخطو خطوة اصيلة  
في اتجاه تجاوزهما تجاوزا حقيقة وليس انتقاميا . لأنهما انطلقا من  
تركيب جديد حق جملة من المزايا الرئيسية التالية :

١ - التخلص من الاطار الفلسفى الاطلاقي ، التجربى ،

حسب هذا المفهوم معنى النضال ضد المفاهيم البورجوازية و ضد المفاهيم الاشتراكية المنحرفة (القطريّة والاممية) ، و ضد المفاهيم الرجعية والمفاهيم الاقليمية الانقتصالية والعشائرية والطائفية المجزعة للواقع العربي وللشخصية العربية ، والسببية لضياعهما .

كما ان السياسة التعليمية تأخذ معنى التعبير عن (فلسفة البطولة) التي تشكل نسيج التطور في الفكر التربوي والممارسة التربوية والسياسة عبر التاريخ العربي . فحصر الانبعاث ، أي عهد البطولة ، يعني (ان تكون النهضة ، وان يتحقق الاستيقاظ في كل عواظفنا الشريفة ومواهبنا العالية لم يعد يرضينا ان نسمع ان ذلك الشخص وطني اذا لم يكن في الوقت نفسه انسانيا ، عفيف النفس ، كريم الخلق ، فالعاطفة الوطنية ، اذا لم تكن مصحوبة بهذه الصفات قد لا تكون غير مجرد كره للاجنبي ) .

وهذه ليست غايتنا . لستنا نطلب الاستقلال لعزل عن بقية الشعوب ، ونقيم سدا بيننا وبين الحضارة الانسانية ، ولستنا نصبو الى الحرية لتعيش في الفوضى ، بل لانهما وسيلة لاطلاق مواهبنا العالية وقوانا المبدعة ، كيما نحقق على هذه البقعة من الارض التي هي بلادنا غايتنا وغاية كل انسان – الانسانية الكاملة .

وهكذا فان السمة الاولى للشخصية المطلوب تكوينها ، في هذه المرحلة ، هي الشخصية البطولية ، لأن البطولة تشكل النسخ

السياسة التربوية  
والسياسة التعليمية  
كما ان مفهوم (الايديولوجية) يرتبط بمفهوم (الستراتيجية) ، كذلك فان مفهوم الفلسفة التربوية يرتبط بالسياسة التربوية . فإذا كان هدف الفلسفة التربوية العربية الثورية بعث الشخصية العربية وخلق الانسان العربي الجديد والاجيال العربية الثورية . فان السياسة التربوية والسياسات التعليمية ، لا بد ان تكون معبرة عن المبادئ الاساسية لفكرة الانبعاث واستراتيجية الثورة العربية . آخذة يعين الاعتبار جملة الشروط الموضوعية والذاتية المساعدة على تحقيقها ، جنبا الى جنب مع الامكانيات المتاحة والاستعداد المتوفر ، لابتكار وسائل جديدة وشق طريق جديد نحو تحقيق تلك المبادئ والاهداف .

لقد أكد فكر البعث على ان ( كل علم يبقى في اطار الحياة السلبية لامة علما ناقصا ) اذا لم يصبح اداة نضال . فالتربيّة نضال والثقافة نضال ، ( نضال مع الذات ، ومع القيم المتعارضة مع خطط النهضة العربية ) وعلى هذا الاساس فأن السياسة التعليمية تأخذ

لـ يتحقق الا في نوع معين من الشباب له موقف فكري حيوي  
وبطولي جديـد

انه ( جيل يخرج من الواقع ولكنه سيكون تقيـضه ) سـيولد  
منه وينفصل عنه ليتحـد بجوهر الـامة ويحرـكـة نـسـالـها ، ولـيـستـعـيد  
معـها ذاتـهـما الأـصـيل ) فالـثقـافـةـ المسـجـمـحةـ معـ حاجـاتـ تـكـوـنـ هـذـاـ  
الـجيـلـ والـترـيـةـ الـتـيـ تـسـتـطـيـعـ اـنـ تـشـئـهـ ، هـماـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ التـوـرـيـةـ  
الـجـدـيـدـةـ وـالـتـرـيـةـ الـثـوـرـيـةـ ، الـكـفـيـلـيـنـ باـنـجـازـ مـهـمـاتـ (ـ الـاقـصـالـ  
وـالـاتـحـادـ ) فـيـ عـلـاقـةـ الشـخـصـيـةـ الـعـرـبـيـةـ بـوـاقـعـ الـأـمـةـ مـنـ جـهـةـ وـبـحـقـيقـتـهاـ  
وـنـسـالـهـاـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ

الـاقـصـالـ مـنـ عـقـلـيـةـ التـجـزـئـةـ وـمـصـالـحـ التـجـزـئـةـ ، عـنـ قـيمـ  
التـخـلـفـ وـعـادـاتـهـ ، عـنـ وـاقـعـ الـاضـطـهـادـ وـالـاسـتـغـالـ ، وـاـكتـسـابـ  
عـقـلـيـةـ الـوـحـدـةـ وـنـفـسـيـةـ الـوـحـدـةـ ، الـفـكـرـ الـاشـتـراـكـيـ وـالـنـفـسـيـةـ  
الـاشـتـراـكـيـةـ الـنـظـرـةـ الـمـتـحـرـرـةـ وـالـاـرـادـةـ الـمـتـحـرـرـةـ ضـمـنـ اـطـارـ شـخـصـيـةـ  
منـاضـلـةـ اـيـجـابـيـةـ زـاـخـرـةـ بـالـاستـعـدـادـ لـلـعـطـاءـ وـبـالـقـدـرـاتـ الـمـعـطـاءـةـ ، فـلاـ  
سـبـيلـ اـلـىـ القـضـاءـ عـلـىـ القـطـيـعـةـ الـقـائـمـةـ بـيـنـ وـاقـعـ الـعـرـبـ وـشـخـصـيـةـ  
الـعـرـبـ الـيـوـمـ ، وـبـيـنـ مـاضـيـهـمـ مـنـ جـهـةـ ، وـحـاضـرـ الـعـالـمـ مـنـ جـهـةـ أـخـرىـ،  
وـلـاـ مـجـالـ لـضـمـانـ الـمـسـتـقـبـلـ الاـ بـتـحـقـيقـ ثـورـةـ شـامـلـةـ وـحـضـارـيـةـ فـيـ  
الـحـاضـرـ ، وـلـاـ سـبـيلـ اـلـىـ هـذـهـ ثـورـةـ بـدـوـنـ ثـقـافـةـ وـتـرـيـةـ ثـورـيـةـ

(2) نفس المصدر ص ١٥٠ .

١٣٥

الـذـيـ يـعـدـ الـحـيـاةـ إـلـىـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ مـاضـيـ الـعـرـبـ الـثـوـرـيـ وـحـاضـرـهـ  
الـراـهـنـ ، وـالـأـرـضـ الـخـصـبـةـ الـتـيـ تـنـمـوـ فـيـهاـ الـثـقـافـةـ الـحـيـةـ وـالـتـرـيـةـ  
الـصـحـيـحـةـ ، اـنـ هـذـهـ النـظـرـةـ هـيـ الـتـيـ جـعـلـتـ فـكـرـ الـبـعـثـ يـبـرـزـ اـهـمـيـةـ  
(ـالـتـرـاثـ) فـيـ الـعـمـلـيـةـ التـرـيـوـيـةـ (ـأـيـ فـيـ اـعـادـةـ تـكـوـينـ الشـخـصـيـةـ  
الـعـرـبـيـةـ) ، فـيـ مـحـاـضـرـ (ـذـكـرـ الرـسـولـ الـعـوـبـيـ) فـيـ كـتـابـ فـيـ  
سـبـيلـ الـبـعـثـ لـلـاسـتـاذـ مـيشـيلـ عـفـلـ تـجـاـوزـ لـنـظـرـتـيـنـ بـاطـلـتـيـنـ هـمـاـ :  
(ـالـنـظـرـةـ السـلـفـيـةـ) الـتـيـ حـوـلـتـ المـاضـيـ إـلـىـ صـنـمـ ، وـ (ـالـنـظـرـةـ الـتـقـدـمـيـةـ)  
الـسـطـحـيـةـ) الـتـيـ هـجـرـتـهـ كـمـاـ لـوـ اـنـ عـبـءـ ، وـ تـأـكـيدـ عـلـىـ مـنـهـجـ جـدـيدـ  
فـيـ فـهـمـ الـتـرـاثـ يـنـقـذـهـ مـنـ الـنـظـرـةـ الشـكـلـيـةـ الـجـامـدـةـ ، وـ يـجـبـ الـنـظـرـةـ  
الـمـسـتـحـفـةـ الـجـاحـدـةـ ، وـ يـوـفـهـ لـخـدـمـةـ الـمـهـدـ الـكـبـيرـ (ـبـعـثـ الـأـمـةـ  
الـعـرـبـيـةـ) ، كـانـ الشـخـصـيـةـ الـعـرـبـيـةـ كـلـاـ مـوـحـداـ . اـمـاـ نـحـنـ فـلاـ نـعـرـفـ  
غـيرـ الشـخـصـيـةـ الـمـقـسـمـةـ الـمـجـزـأـةـ . وـ قـدـ آنـ لـنـاـ انـ نـزـيلـ هـذـاـ التـنـاقـضـ،  
فـنـعـيـدـ لـلـشـخـصـيـةـ الـعـرـبـيـةـ وـحـدـتـهـاـ . كـانـ اـنـسـابـنـاـ لـاجـدادـنـاـ الـابـطـالـ  
رـسـمـيـاـ لـاـكـثـرـ . وـ الـيـوـمـ يـجـبـ اـنـ نـجـعـلـهـ حـقـيقـيـاـ مـشـرـوـعاـ . فـكـمـاـ اـنـ  
اجـدادـنـاـ قـدـ عـرـفـواـ بـتـجـربـتـهـمـ الـثـوـرـيـةـ فـيـ المـاضـيـ كـيـفـ يـتـمـرـدـونـ عـلـىـ  
وـاقـعـهـمـ ، هـكـذاـ يـجـبـ اـنـ نـجـدـ هـذـاـ اـسـتـعـدـادـ . وـ لـيـسـ غـيرـ الـجـيلـ  
الـعـرـبـيـ الـجـدـيـدـ يـسـتـطـعـ اـنـ يـضـطـلـعـ بـهـذـهـ ثـورـةـ (1) . وـ لـكـنـ مـاـ هـوـ  
هـذـاـ الجـيلـ ؟ اـنـهـ جـيلـ الـثـقـافـةـ الـثـوـرـيـةـ وـالـتـرـيـةـ الـثـوـرـيـةـ . اـنـهـ (ـجـيلـ

(1) في سـبـيلـ الـبـعـثـ صـ ١٢٢ـ .

١٣٤

وعلى هذا الاساس فان مهمة السياسة التربوية هي مهمة ثورية من الطراز الاول ، لانه عليها ان تخلق عقلية جديدة حديثة علمية وثورية وان تخلق نفسية جديدة تستلهم المثل العليا وحاجات جماهير الامة العربية للانطلاق من قيود الواقع الذي يحبس طاقاتها وان تخلق بيئة اجتماعية ثورية جديدة .

#### يقظة الوجدان العربي :

لقد نص المبدأ الاول من المبادئ الاساسية للدستور الاول للبعث على ان « الامة العربية وحدة ثقافية ، وان جميع الفوارق القائمة بين ابنائها عرضية زائفه تزول جميعا بيقظة الوجدان العربي »<sup>(٢)</sup> .

وعلى ضوء هذا المبدأ ، اصبح للسياسة التربوية هدف يتتجاوز الاهداف التقليدية المتبعة عن الاطر الفقيرية ، كما يتتجاوز ايضا حدود تكوين المعرفة وتنمية القدرات الفردية والتلاؤم الاجتماعي .. الى غير ذلك من الاهداف التي تحددها النظريات التربوية المعروفة .

لان المهمة الاساسية للسياسة التربوية أصبحت ( ايقاظ الوجدان العربي وتوحيد الثقافة العربية وخلق الاجيال العربية الجديدة الموحدة في وعيها وفي استعدادها النضالي ) .

(٢) نضال البعث . ج ٤ ( المؤتمرات القومية السابعة الاول ) ص ٢٤ .

وقد تضمنت باقي مواد الدستور الاول اشارات الى عناصر تحقيق هذه السياسة .

فالمادة السادسة ، تحدد هوية الاداة الازمة لتحقيق (الابتعاث القومي وتحقيق الاشتراكية ) ، بانها ( الانقلاب الشامل لجسم مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ) ، والمادة الخامسة عشر تعتبر الرابطة القومية الرابطة الوحيدة في المجتمع العربي وتتعلّم الى تكوين الجيل المكافحة ضد العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والاقليمية .

والمادة الواحدة والاربعين ، تنص على ايجاد ثقافة عامة للوطن العربي ( قومية ، عربية ، حرية تقدمية ، انسانية ) وجعل انشطة ( التوادي ، والجمعيات والاحزاب ومنظمات الشباب ومؤسسات السينما والاذاعة والتلفزة ، وكل وسائل المدنية الحديثة ) عملا رديفا وجزءا من العملية التربوية الكلية الشاملة لخلق الانسان العربي الذي يمتلك ثقافة عربية تساعد على تحقيق شخصيته القومية ذات البعد الانساني الحضاري وكذلك المقادير ٤٤ - ٤٨ المتعلقة بسياسة الحزب التربوية التي ترمي الى ( خلق جيل عربي جديد مؤمن بوحدة امته وخلود رسالتها . آخذ بالتفكير العلمي ، طليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية ، مشبع بروح التفاؤل والنضال مع مواطئه في سبيل تحقيق الانقلاب العربي الشامل وتقدير الانسانية ) .

اختلاف المقاييس والمفاهيم :

وهكذا فان نظرة البعث الى السياسة التربوية تتلخص في كونها ينبغي ان تفهم العملية التعليمية التربوية بمنظار اوسع من الحدود القطرية واعمق من النظارات الاصلاحية السطحية ، وتخالف عن المقاييس والمفاهيم التقليدية فالسياسة التربوية ينبغي ان تصبح مصنعا ينتج الجيل الثوري الذي يتميز بالنوع عما حوله من واقع والذى يشكل ( أمة الانقلاب قبل ان يتحقق انقلاب الامة )<sup>(٤)</sup> وذلك لا يتحقق الا اذا تحولت العملية التربوية ذاتها الى عملية ثورية تزاحب تيار الواقع والمفاهيم المختلفة والمناقضية لتيار الثورة . فالتربيـة ليست مجرد اعداد للحياة النضالية ، بل يجب ان ترتبط بالحياة النضالية وان تكون جزءا اساسيا منها واهم ركن من اركانها .

وإذا كانت الوحدة هي قبل كل شيء ( تفكير انقلابي وعمل نضالي كما يقول القائد المؤسس للبعث فان السياسة التربوية مطالبة بان تتشيء ( الجيل العربي الجديد الذي يستمد قيمه من امكانات الامة العربية الكامنة لا من الواقع المريض ) وهو الذي يملك ( عقلية الوحدة ونفسية الوحدة )<sup>(٥)</sup> أي ( خلق التفكير والنضال المناقضين لحالة

(٤) في سبيل البعث ( البعث العربي والانقلاب ) عام ١٩٤٩ ص ٦٠ .

(٥) ميشيل عفلق ( معركة المصير الواحد ) ط ٥ ص ٤٤ .

التجزئة ولما اورثته التجزئة واصطنعه من عقلية وعواطف ومصالح واوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية داخل كل قطر من اقطار الامة ) .

وهذا يعني ان هذه السياسة التربوية لا يمكن ان تتحقق على وجهها الصحيح الا على ايدي مربين مناضلين مؤمنة بالوحدة يشقون طريقهم كرواد وتسورف فيهم صفات الابطال الذين يعطون للريادة معنى الرسالة . ويتفاعلون مع ظروف النضال القومي تفاعلا بطوليا . فالنكبات دروس وحوافر لبناء الاجيال الجديدة على اسس اعمق ثورية واكثر نضوجا ، لأن الثورة ( علم وتحطيب وتنظيم ومراحل وارتفاع مستمر الى مستوى العمل التاريـي ) وكذلك السياسة التربوية والعملية التربوية فانها الجزء الاعمق والاكثر اتصالا بمستقبل العمل الشوري لذلك فهي تستمد من الثقة بالامة وجمahirها ومستقبل نجاح قضيتها ، اساسا توجهها لتفجير الطاقات الجديدة في المجتمع العربي ، وتعزيز القدرة على النهوض والتعدد والصمود .

فالسياسة التربوية لا بد ان تربط العملية التربوية بحاجات ومتطلبات المعركة المصيرية الدائمة والصادعة مع العدو الامريكي الصهيوني .

أي بالحاجة الى ثورة ثقافية مستمرة وصادعة . وهكذا فان

منظور البعث للسياسة التربوية الذي هو منظور علمي ثوري منشق من أيديولوجية العربية الأصيلة ، يتميز باحاطته بكل ابعاد العملية التربوية وبالعلاقة الجدلية بينها وبين الحياة النضالية لامة .

#### اهداف اساسية :

وقد جاء التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن ليرسم السياسة التربوية للقطر العراقي في المرحلة الراهنة ، اهدافها المثلجية الاساسية كجزء من هذا التطور الشامل وهي :

١ - وضع التحولات الاجتماعية والثقافية في نسق واحد مع التحولات الجارية في الميادين الأخرى •

٢ - تسريع التحولات الاجتماعية والثقافية بالسرعة والجذرية والشمول الذي يطع اليه الحزب وتنطليها مهامه واهدافه القومية والاشراكية والدور المطلوب ان تؤديه التجربة الثورية في القطر العراقي في حركة الثورة العربية •

٣ - اعداد مناهج دراسية جديدة بدءاً من رياض الاطفال ووصولاً الى التعليم الجامعي، موضوعة على ضوء مبادئ الحزب والثورة القومية والاشراكية والديمقراطية •

٤ - التصفية الجذرية والشاملة للافكار والاتجاهات الرجعية وانبورجوازية والليبرالية الموجودة في مناهج التعليم وفي اجهزته •

٥ - تحصين النشء الجديد تحصيناً فكرياً وثقافياً ضد اي تيار او اتجاه فكري او ثقافي لا ينسجم مع مطامع امتنا العربية واهدافها الاساسية في الوحدة والحرية والاشتراكية .

ان نظرة الى المسافة الزمنية التي اقضت بعد المؤتمر القطري الثامن ، تكشف لنا عن الخطوات التي تم انجازها خلال السنوات الأربع المنصرمة ، والخطوات التي هي قيد الاعداد ، من أجل وضع العملية التربوية في هذا القطر على طريق (الثورة السياسية الدائمة) والثورة (الثقافية الدائمة) النابعة من حاجات نفسيتنا القومي واهداف ثورتنا العربية •